

تفسير البحر المحيط

@ 367 @ وبدؤوا أو ولاً بالعلة العامة وهي الإفساد ثم اتبعوه بالخاصة ليدلوا على أن ذلك الترك من فرعون لموسى وقومه هو أيضاً يؤول إلى شيء يختص بفرعون قدحوا بذلك زناد غيظه على موسى وقومه ليكون ذلك أبقى عليهم إذ هم الأشراف وبترك موسى وقومه بمصر يذهب ملكهم وشرفهم ، ويجوز أن يكون النصب على جواب الاستفهام والمعنى أنى يكون الجمع بين تركك موسى وقومه للإفساد وبين تركهم إياك وعبادة آلهتك أي إن هذا مما لا يمكن وقوعه ، وقرأ نعيم بن ميسرة والحسن بخلاف عنه { وَيَذَرُكَ } بالرفع عطفاً على { أَتَذَرُ } بمعنى أتذره ويترك أي أتطلق له ذلك أو على الاستئناف أو على الحال على تقدير وهو يترك ، وقرأ الأشهب العقيلي والحسن بخلاف عنه { وَيَذَرُكَ } بالجزم عطفاً على التوهّم كأنه توهم النطق يفسدوا جزماً على جواب الاستفهام كما قال { فَأَصْدَقَ * وَزَيْدًا مِّنَ الصَّالِحِينَ } أو على التخفيف من { وَيَذَرُكَ } ، وقرأ أنس بن مالك ونذرك بالنون ورفع الرءاء توعده بتركه وترك آلهته أو على معنى الإخبار أي إن الأمر يؤول إلى هذا ، وقرأ أبي وعبد { فِي الْأَرْضِ } وقد تركوك أن يعبدوك { وَءَالِهَتِكَ } ، وقرأ الأعمش وقد تركك وآلهتك . .

وقرأ الجمهور { وَءَالِهَتِكَ } على الجمع والظاهر أن فرعون كان له آلهة يعبدها ، وقال سليمان التيمي : بلغني أنه كان يعبد البقر ، وقيل : كان يعبد حجراً يعلقه في صدره كياقوتة أو نحوها ، وقيل : الإضافة هي على معنى أنه شرع لهم عبادة آلهة من بقر وأصنام وغير ذلك وجعل نفسه الإله الأعلى فقله على هذا { أَزَاوَرَبُّكُمْ الْإِلَهِاتِ } إنما هو بمناسبة بينه وبين سواه من المعبودات ، قيل : كانوا قبطاً يعبدون الكواكب ويزعمون أنها تستجيب دعاء من دعاها وفرعون كان يدعي أن الشمس استجابت له وملأ كتبه عليهم ، وقرأ ابن مسعود وعليّ وابن عباس وأنس وجماعة غيرهم وإلهتك وفسروا ذلك بأمرين أحدهما أن المعنى وعبادتك فيكون إذ ذاك مصدراً ، قال ابن عباس : كان فرعون يعبد ولا يعبد ، والثاني أن المعنى ومعبودك وهي الشمس التي كان يعبدها والشمس تسمى إلهة علماً عليها ممنوعة الصرف . .

{ قَالَ سَنُقَاتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّنَا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ } وإنما لم يعاجل موسى وقومه بالقتال لأنه كان مليء من موسى رعباً والمعنى أنه قال سعيد عليهم ما كنا فعلنا بهم قبل من قتل أبنائهم ليقبل رهطه الذين يقع الإفساد بواسطتهم والفوقية هنا بالمنزلة والتمكّن في الدنيا و { قَاهِرُونَ } يقتضي تحقيرهم أي

قاهرون لهم قهراً قل من أن نهتم به فنحن على ما كنا عليه من الغلبة أو أن غلبة موسى لا أثر لها في ملكنا واستيلائنا ولئلا يتوهم العامة أن المولود الذي تحدّث المنجمون عنه والكهنة بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم إلى اتباعه وإنه منتظر بعد وشدّد { سَنُقَاتِلُهُ } ويقتلون الكوفيون والعربيان وخففهما نافع وخفف ابن كثير { سَنُقَاتِلُهُ } وشدّد ويقتلون . .

{ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا } لما توءدّهم فرعون جزعوا وتضجّروا فسكنهم موسى عليه السلام وأمرهم بالاستعانة بالله وبالصبر وسلاهم ووعدهم النصر وذكرهم ما وعد الله بني إسرائيل من إهلاك القبط وتوريثهم أرضهم وديارهم . . { إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ } . أي أرض مصر وأل فيه للعهد وهي { الأرض } التي كانوا فيها ، وقيل : { الأرض } أرض الدنيا فهي على العموم ، وقيل : المراد أرض الجنة لقوله { وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ } وتعدّس { اسْتَعِينُوا } هنا بالباء وفي { وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } بنفسه وجاء اللهم إنا نستعينك . .

{ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } قيل : النصر والظفر ، وقيل : الدار الآخرة ، وفي : السعادة والشهادة ، وقيل : الجنة ، وقال الزمخشري : الخاتمة المحمودة { لِلْمُتَّقِينَ } منهم ومن القبط وإنّ المشيئة متناولة لهم انتهى ، وقرأت فرقة { يُورِثُهَا } بفتح الراء ، وقرأ الحسن { يُورِثُهَا } بتشديد الراء على المبالغة ورويت عن حفص ، وقرأ ابن مسعود وأبيّ { وَالْعَاقِبَةُ } بالنصب عطفاً على { إِنَّ }